والحالة هذه فليس من المحال ان يخضع الانسان لسلطانه المطلق قوة البراكين نفسها التي لم تكتف بعصيانه بل تلاعبت باعظم مدنه ولا تلاعبُ البحر الهائج بالسفن الخانضة في عبابه في طرفة عين كما رأينا ذلك في انفجار بركان جبل پله الذي لاشى مدينة سان پيار في سنة ١٩٠٢ . إي لعمري انها ستكون ساعة جليلة في تاريخ ابن آدم اذا ما استطاع يوماً ان يضع صولجان ملكه على ذات البراكين فيسخرها لارادته ويجعلها رهن اشارته محولاً عنوتها الذي طالما دمّر البلاد وافنى سكانها الى انقياد جزيل الفوائد عميم الخيرات . وعلى كل حال فان لم تتحقق هذه الامنية البعيدة فكفى الانسان فخراً انهُ نال من مراحم خالقه عقلاً يرشدهُ الى تذليل كل قوى هذا العالم الفاني لإصلاح امور الزمنية فيقوى بها على ادراك غايته القصوى اي السعادة السرمدية

التذكار الخمسيني

لحماية القديس يوسف (١٨٧٠ — ١٩٢٠)

نظر لاهوتي للاب لويس شيخو اليسوعي

في ٨ كانون الاوّل من السنة ١٨٧٠ بعد مرور شهرين على دخول الجنود الايطالية في عاصمة الكثلكة وانتهاك حرمتها اصدر قداسة الحبر الاعظم السعيد الذكر بيوس التاسع براءة اعلن بموجبها انهُ تلبيةً لدعاء اساقفة العالم الكاثوليكي ورهبنياته ودوائره الدينية قد اقام بصفة رسمية القديس يوسف خطيب السيدة البتول ومربي الطفل الالهي وراس العائلة المقدسة شفيعاً ومحامياً للكنيسة الجامعة في كل الحقب العصور . وخصَّ لذلك عيداً سنوياً جعل رتبتهُ شبه رُتب اعياد الكنيسة الحافلة . وقد صرَّح قداستهُ بانهُ واثق بجلالة ذاك الشفيع المشفَّع لينقذ بيعة الله مما احدق بها من الاخطار واصابها من النكبات بكايد الاشرار

تتلقى المؤمنون هذا الخبر بمزيد الفرح وشكروا إمام الاحبار على فعله وارادت مذ ذاك تقتهم بذلك القديس العظيم واختبروا مفاعيل شفاعته هذه على طرائق مختلفة كما تنبئ به عدة منشورات تقوية خصت بتمجيده ونشر عبادته

وها قد مضى على ذلك القرار خمسون سنة فلم يشأ رئيس الكنيسة ونائب السيد المسيح البابا بندكتوس الخامس عشر ان تمر دون ان يلفت نظر عموم ابنائه الكاثوليك الى هذه الحقبة من الدهر شكراً لله على ما انعم به عن يد هذا الولي العظيم من سوابغ منته وفيوض بركاته ثم تحريضاً للمؤمنين كي يجعلوه قدوة لحياتهم فيتلافوا بحسن سلوكهم والاقتداء بشفيعهم الشرور والبلايا التي دهمت العالم باجمعه ويمكنوا دعائم السلام في الصراع البشري وفي الهيئة الاجتماعية المتداعية

ففي ٢٥ من شهر تموز المنصرم اصدر قداسته منشوراً جديداً وجهه الى لفيف رؤساء الكنيسة ورعاياها ذكرهم فيه بهذا اليوبيل الخمسيني وتقدم اليهم بان يقيموا في كافة البلاد عيداً كبيراً لإكرام القديس يوسف يجمعون موعده في حدود سنة كاملة تبتدئ من ٨ك ١ سنة ١٩٢٠ وتنتهي في اواخر السنة ١٩٢١ . ولأن هذا شهر آذار اعتاد النصارى ان يكرموا ذلك القديس اكراماً خاصاً قصدنا ان نفرد في بحثنا نبذة نبين فيها اولاً ما هي الاسباب الداعية لالتماس حماية القديس يوسف ثم ثانياً كيف نستحق التمتع بتلك الحماية

ما هي الكنيسة على التماس حماية القديس يوسف

ان كنيسة الله في سائر اطوار تاريخها مع اقرارها بان السيد المسيح هو الوسيط الوحيد بين الله والبشر قد اعتبرت ايضاً القديسين والاولياء لرفيع مقامهم عنده عز وجل ولحظوتهم لديه كشفعائها المشفعين تنال عن يدهم منه تعالى نعماً وافرة لسعادة الدارين . وليس الالتجاء الى حمايتهم مخلاً في شيء بكرامة السيد المسيح بل هو مؤيد لها ويعود اليها اذ يعد الرب ما يقدم لاصحابه من الاكرام كمقدم لشخصه الكريم كما ان التجلة التي ينالها مبعوث الامير وحاشية السلطان تعود الى ولي امرهما

وذلك امر معقول يمكن اثباته بالادلة النقلية المتعددة من اسفار العهدين القديم والحديث خلافاً لما ذهب اليه بعض المراطقة

فهذا ابرهيم خليل الله شفع باهل سدوم وعمورة فقبل الله شفاعتهُ . وهذا موسى توسل مرارًا الى الرب ليصفح عن شعبهِ فرضي الله عن بني اسرائيل لاجلهِ . وهذا ايليَّا حبس المطر ثمَّ أنزل الغيث على الارض بمجرَّد صلاتهِ

بل هو الربّ يحضُّ البشر على الاستشفاع بأوليائهِ فاوحى تعالى الى ابيمالك ان يلوذ بشفاعة ابرهيم لينجو من غضبهِ . «فصلى ابرهيم الى الله فشفى الربّ ابيمالك وامرأتهُ وجواريهُ» . وكذا فعل باصدقاء أيوب بعد محنتهِ فامرهم ان يذهبوا الى عبدهِ أيوب قائلًا : «اذهبوا الى عبدي أيوب وأصعدوا محرقةً عنكم انفسكم وعبدي أيوب يصلّي من اجلكم لئلَّا أعاملكم بحسب حماقتكم» (ايوب ٤٢ : ٨)

وظهرت مفاعيل هذه الشفاعة حتَّى بعد موت اولئك الابرار كما حدث لذلك الميت الذي قام حيًّا اذ مسَّت جثَّتهُ عظام النبي اليشاع (٤ ملوك ١٣ : ١٤) ومثلهُ ما ورد عن ارميا النبيّ الذي تراءى ليهوذا المكابي وقيل عنهُ هناك «انهُ محبّ لاخوتهِ ومكثر من الصلوات لاجل الشَّعب والمدينة المقدسة» (٢ مكابيين ١٥ : ١٤)

وليست الشواهد المنقولة من العهد الجديد اقلّ وضوحاً من آيات العهد القديم : توسَّل بطرس لاجل حماتهِ فشفاها السيّد المسيح من مرضها . توسّل بولس لاجل نجاة الذين ركبوا معهُ البحر فاستجاب الله دعاءهُ وخلَّصهم من الغرق . توسَّلت الكنيسة من اجل بطرس فانقذهُ الله من ايدي هيرودس اغريبا وفتح امامهُ ابواب السجن وكسر اغلالهُ . وقد حضَّ يعقوب الرسول المؤمنين على صلاة بعضهم لاجل البعض بقولهِ (٥ : ١٦) : «صلّوا بعضكم لاجل بعض لكي تبرأوا . ما اعظم قوَّة صلاة البارّ الفعَّالة»

ولا تبطل قوَّة شفاعة هؤلاء الابرار بعد موتهم بل تزيد مفعولًا وهم احياء عند الله ثابتين في محبَّتهِ . كما يلوح من قول الرب في لوقا (١٦ : ٩) اذ يحرّض ذوي الثروة على الصدقة بقولهِ : «اجعلوا لكم اصدقاء بمال الظلم حتى اذا ادركم الاضمحلال يقبلونكم في المظالّ الابديَّة»

وفي تاريخ الكنيسة ما لا يُحصى من الاخبار الثابتة الموثوق بها لا تبقي شكًّا في قوَّة تلك الشفاعة فلا حاجة الى ذكرها

هذا ثمَّ أنهُ معلوم انَّ بين اولياء الله مراتب مختلفة على حسب فضلهم وسموّ

قداستهم ولا جرم انَّ للقديس يوسف بينهم مقاماً رفيعاً لم يبلغه احد منهم بعد البتول امّ الله كما اثبت ذلك حضرة الاب بولس جورن في مقالة ممتعة نشرها في المشرق (٤ [١٩٠١]: ٢٢٩ - ٢٣٦) . فهذه الرتبة السامية التي اكرمهُ الله بها على الارض خزنتهُ الآن في السماء كرامةً خاصَّة تلوح مفاعيلها بما يجديهِ من الآلاء الجزيلة للمتعبدين لهُ

وقد عرفت الكنيسة منزلتهُ هذه السامية وذلك ما حدا بها الى ان تختارهُ كحامٍ عمومي لها . ولم تمتز بهذا الشرف احداً من القديسين غيرهُ مع العذراء خطيبتهِ

وممَّا أهَّل القديس يوسف الى ذلك ثلث صفات وجدتها الكنيسة في حمايتهِ :

﴿الصفة الاولى﴾ قوَّة تلك الحماية التي تفوق حماية غيرهِ من ساكني الجنان السرمديَّة . قال احد الاتقياء : انَّ شفاعة القديس يوسف هي اشبه بالامر منها بالتوسل والتضرع . فان طلب من الثالوث الاقدس حاجةً وجد في الآب الازلي مولى انابهُ في حياتهِ منابهُ لدى ابنهِ الالهي فشاءهُ بازائهِ على الارض . وان التمس امراً من ابن الله الكلمة لبَّى للحال طلبتهُ بقرَّة وصيَّتهِ تعالى : أكرم اباك وامك وهو وليُّهُ الذي كان في عهدتهِ مدَّة ثلثين سنةً يدعوهُ بالاب ويعتبرهُ شرعياً كابنهِ . وان استمدَّ نعمةً من الروح القدس حصل عليها دون سواه بعد ان تخلَّى لهُ عن عروسهِ مريم ليحلَّ هو عليها ويظلِّلها بقوتهِ . او تستطيع سلطانة السماء ان تردَّ حارس بتوليَّتها وخطيبها البتول خائباً اذا ما تشفَّع لديها باحد مواليهِ كلا ثمَّ كلا . فانَّ للقديس يوسف كلمةً نافذة وامراً مسموعاً مهما طلبهُ نالهُ لا محالة

﴿الصفة الثانية﴾ التي امتازت بها حماية يوسف الجليل انَّها حماية عموميَّة شاملة تمتدُّ لكل حاجات الانام . فان الكنيسة اذا ابتهلت الى بعض اولياء الله تطلب شفاعتهُ لنوال نعمةٍ خاصَّة امتاز بها ذلك القديس فينالها ملتمسها بواسطتهِ من الله جزاء عن جهادهِ وتبريزهِ في اقتنائها على الارض . فتطلب الايمان والثبات من الرسل والقوَّة والشجاعة من الشهداء والاستنارة والفهم من معلمي الكنيسة ومحبَّة الله والقريب من المعترفين والطهارة من العذارى . امَّا القديس يوسف فتلتجئ الى شفاعتهِ في كلّ حاجاتها وهي تصرِّح بذلك في صلاة عيدهِ بقولها : «نسألك يا رب ان تساعدنا باستحقاقات خطيب والدتك الكلي قدسها فننال بشفاعتهِ ما لا نستطيعهُ بقوَّتنا»

وكأنَّ الله قدَّر ليوسف عبده ان يتقلَّب في اطوار حياته تقلُّباً كثيراً ليجم عودَ دهره فيذوق حلوه ومرَّه ليمَّ بشفاعته ابناء الكنيسة اجمعين. فترى الصغار يلوذون به اذ كان حارساً لطفولة يسوع. وبه يثق ارباب البيوت لتوليه امر العائلة المقدَّسة. اليه تستصرخ العذارى ليحرس براءتهنَّ كما حرس عفَّة العذراء الطاهرة مريم. واياه يستغيث المرتبطون بالزواج ليحفظوا كرامة وشرف هذا السرّ كما هو قدَّسه بذاك الاقتران المقدَّس الروحيّ مع سيدة العذارى. يلتجئ اليه الفقراء والعمَلة لعلمهم انَّه قضى حياته في الشغل والكدّ. عليه تُبنَى آمال الناس في الامور الروحيَّة والحياة القدسيَّة لعيشته بجوار ربّ القداسة وسيره على مثاله. ومنه تُرجأ الاعانة في الامور الزمنيَّة التي أُلقيت اليه مقاليدها في تدبير بيت الناصرة. يطلب اليه المبؤوسون الفرجة من بلاياهم وهو قد عرف مرارة المنفى في مصر. واليه يُلقي المنازعون ابصارهم لينالوا بشفاعته الآخرة الصالحة كما حظيَ بها بين ذراعي يسوع ومريم

﴿الصفة الثالثة﴾ التي خُصَّت بها حماية يوسف انها ابويَّة حماوة ترأفة وتعطُّفاً. ولا غرو فانَّ القديس يوسف لكونه رأس العائلة المقدَّسة اضحى ايضاً رئساً ومدبّراً للعائلة المسيحيَّة بأسرها. لأن بين العائلتين روابط غير منفصمة وليست عائلة الناصرة الَّا الحلقة الاولى من تلك السلسلة الالهيَّة التي اخذ ابن الله الى الارض لينشئها ويعدّها لسكنى بيت ابيه السماويّ. فما أحرى بيوسف ان يُثابر على حمايتها كما صرف عنايته لحماية يسوع ومريم. وفيه تصدق آية الكتاب عن يوسف الاوَّل (مز ١٠٤: ٢١) «انَّ الرب اقامه سيداً على بيته وسلطاناً على جميع مقتناه». وقد حقَّق القديس يوسف امر ربّه فلم يزل يُظهر لابناء الكنيسة كلّ حنان وشفقة ولم يخيِّب قطّ أمل المعتصمين بشفاعته

٢ كيف يمكن المؤمنون التمتع بحماية القديس يوسف

اذ ثبت انَّ الكنيسة اصابت كلّ الصواب بتوجيه نظرها الى القديس يوسف وباعلان حمايته على كلّ بنيها فانَّ ذلك يقتضي منهم استحقاقها وتهيئة نفوسهم لقبولها. ولا عجب لانَّه ان كانت لذي الحماية فروضٌ وواجبات فذلك يستلزم ايضاً من المُنعَم عليه بها أن يؤهّل نفسه لها ويترشَّح للتمتُّع بها. وانَّما يكون ذلك بالتقرُّب الى وليّه

لينال منهُ الحظوة . واما التقرب يقوم خصوصاً بالتشبه بهِ وباقتداء فضائلهِ . وقد مارس يوسف من الفضائل اسماها ما لو اقتفى بهـا المتعبدون لهُ كانت لهم اضمن كفيل لسعادة حياتهم

واوّل ما دعا اليهِ الحبر الاعظم بندكتوس الخامس عشر لفيف المؤمنين ليتأسوا بهِ من فضـائل القديس يوسف روحُ السلام والوئام الـذي اتخذهُ ديناً وديدناً في حياتهِ . فانَّ العالم بعد هذه الحرب الكونيَّة قد تفاقمت فيهِ الشرور وزاد تنافر القلوب وانتقضت روابط الوداد والاتفـاق بين الدول وأمم المجتمع الانـاني بل ضعفت اواصر الحب في العيال المسيحيَّة . فما لهُ الّا ان ينظر الى يوسف ويتمش روح الإخاء والاتحاد الذي كان يوسف مع عائلتهِ المباركة مثالهُ الحيّ

ومما امتاز بهِ القديس يوسف شظاف عيشهِ وتجرُّدهُ عن ملذّات هذا العالم . خدم ابن الله الذي اختار في هذه الدنيـا الصليب والاوجاع على الهناء والرفاهية ليزدري الناس برخاء العيش . وكان يوسف في مقدّمة المتمثلين بهِ . ومـا احقّ بالمسيحيين ان ينهجوا منهجهُ في هذه الفضيلة وقد نرى الكثيرين يتهافتون على اسباب رغد الحياة ونعومة العيش تهافت الجياع على القصاع كأنهم يريدون ان يعتاضوا عمَّا فاتهم من الرخـاء والتلذُّذ في مدَّة الحرب فلا همَّ لهم الّا ان يرشفوا كـأس الهناء ويستسلموا لكل الاهواء لا يصرفهم عن ذلك مايرون من ضيق الاحوال وغلاء الاسعار ولاسيَّما الشبَّان والشابَّات وقد غلب على كثيرين منهم التهتُّك والخلاعة . فكيف يمكنهم ان يدَّعوا باسم المسيحيين وهم من فضائل المسيحيّ منـاط الثريا . فهـا هوذا يوسف مثالهم فليتعلَّموا منهُ العفَّف والحياد عن كلّ ملاذّ الدنيا الباطلة

وقد اطرأ الحبر الاعظم قناعة يوسف وكفافهُ في خدمة العائلة المقدَّسة وارتزاقهُ بالشغل والكدّ دون الطمع البتَّة او الحسد لمـال القريب فكأنَّ مثالهُ اكبر رادع لمطامع العمَلة في هذه الايَّام التي ثار فيها ثائر الثورة وتألَّفت النقابات الاشتراكيَّة وتعدَّدت الاعتصابات السيئة المبنيَّة على مذهب الفوضى وقلبت المبادئ البولشفيَّة نظام الكون يحلمون كلهم بالمساواة بين طبقات البشر والحصول على الاستقلال ونفي كلّ سلطان . فأصبحت الارض ميداناً للفتن والمشاغب تشبه السكران المتايل بشملهِ لا تثبت على قرار . فليذهبوا الى يوسف النجَّار الذي عرف ان يقدّس شغلهُ ويتوسَّل بهِ

الى رضى ربهِ فكان لهُ سلّماً رقاهُ الى اوج الكمال وبلّغ بهِ الى ان ينـال حبّ الله والناس

فهلمّوا ايها المؤمنون في هذا العيد الحسيني وتعلّموا من يوسف هذه الفضائل الاهليّة والاجتماعيّة فانها انجع دواء لأدوائكم وبها تستحقّون شفاعة ذلك القديس وتشعروا بنعم حمايتهِ لكم ولعيالكم معاً فيسود السلام على العالم وتنقشع ظلمات الشهوات الباطلة ينبوع كلّ الشرور والبلايا

العلوم في السنة المنصرمة

للاب لويس شيخو اليسوعيّ

اخذت العلوم بعد كبوتها بسبب الحرب وعقابيلها المؤلمة تعود الى زهوها شيئاً فشيئاً لتستعيض بضاعتهُ نشاط ارباب عمّا فاتها في هذه الفترة المشئومة

علم الفلك

كان الفلكيّون ينتظرون في اوربّة في العام الماضي شتاء شديد البرد لما عرفوهُ سابقاً من نواميس حركة الشمس وكلفها فجرى الامر على خلاف حسبانهم اذ كان هناك الشتاء غاية في الاعتدال ففسروا ذلك الى انفجارات غير معهودة جرت في الشمس ودلّت عليها رصودهم . وكأنّ ما رجّحوهُ لبلادهم قد صحّ في أصقاعنا الشرقيّة حيث كان الشتاء قارساً ونزل الثلج في سواحلنا على غير عادتهِ (راجع في المشرق ١٩[١٩٢٠]: ٢٠٠ مقالتنا عن الثلج في بيروت)

ومن المظاهر النادرة التي حدثت في باريس في العشر الثالث من شهر آذار في ليلة ٢٢ الى ٢٣ منهُ ظهور الشفق الشمالي مع سطوع انوارهِ الارجوانيّة في أفقها

كانت المراكز الفلكيّة لحظت في سطح القمر حُفَرًا عديدة متّسعة الفوهة على شبه القموع فلم يستدلّوا على سببها حتّى قام الفلكي الفرنساوي بوسلر (Bosler) فبيّن انها حدثت بوقوع رجوم كبيرة سقطت على القمر وغاصت في سطحه وقد قاس